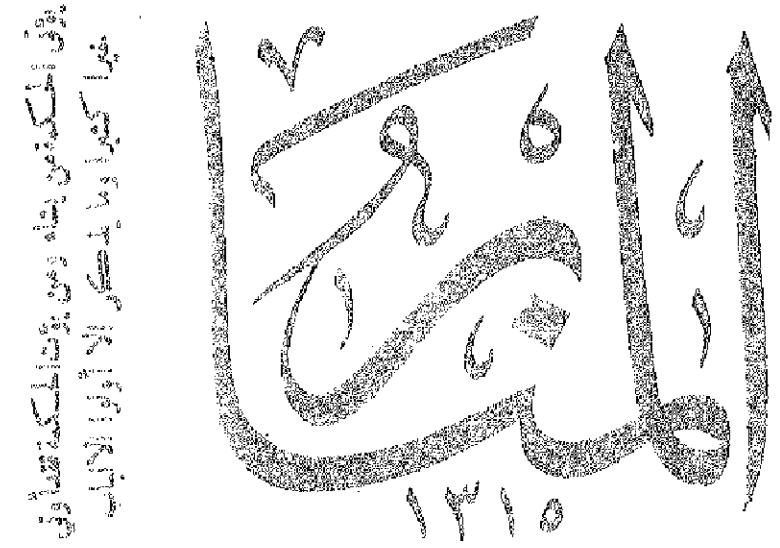

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٢٩ رجب ١٣٣١هـ ق ١٣ الصيف الأول ١٢٩١هـ ش ٤ يوليو ١٩١٣

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ متى يحرم الوقاع ﴾

(س ٢٠) من صاحب الامضاء بمكة المكرمة

ما قولكم ، دام ارشادكم ، في قول العلامة الفاضل ، والقدوة الكامل ، الشيخ ابراهيم الباجوري رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، في حاشيته على شرح العلامة ابن قاسم الغزي المسمى بفتح القريب في باب محرمات النكاح (صحيفة ١١٣ من السطر ٢٠) ما نصه « أما التحريم غير الذاتي وهو العارض بسبب حيض أو احرام أو صوم أو نحو ذلك » ما المراد منه وما معناه فهل المراد ان الحائض أو الصائمة يحرم نكاحهما كما هو صريح كلامه أم لا وقد أوهم بعضهم أن المراد منه يحرم نكاحهما حتى أفتى بذلك ، بينوا لنا بيانا شافيا وافيا لأن المسئلة واقعة كل عام ، مستمد الدعاء

محمد بصري الصولوي الجاوي المجاور بمكة المكرمة

(ج) المراد بالتحريم هنا تحريم الوقاع لا تحريم عقد النكاح والأمر ظاهر ولذلك حذفنا ما أطلتم به في السؤال من مقابلة كتب الشافعية بعضها ببعض

﴿ قصص القرآن وكتب العهد العتيق ﴾

(س ٢١) كتب الينا الدكتور أخنوخ فانوس القسيس الانجيلي القبطي سؤالا مطولا يبين فيه مخالفة بعض قصص القرآن (كقصة داود وطالوت) لما في أسفار العهد العتيق من تاريخ اليهود ويعد هذا شبهة على صحة ما جاء في القرآن العزيز .

وجوابه بالايجاز ان القرآن منزل من عند الله تعالى وخبر الله تعالى أصح من أخبار مؤرخي اليهود سواء منها ما سمي مقدساً لاشتماله على أخبار الانبياء كسفر القضاة وسفر الايام وما لم يسم مقدساً كتاريخ يوسيفوس . واننا نرى أهل ملة السائل يجيبون عما خالف العهد الجديد به كتب اليهود بأن كتبته ما كانوا يلتزمون عبارات تلك الكتب بل روح معناها . أما نحن المسلمين فلا ثقة لنا بلفظها ولا بمعناها ولا مزية لها عندنا على غيرها من التواريخ القديمة ، والجديدة تفضلها ومع هذا نرى فيها كذبا كثيراً ، فهل يعارض بمثلها كتاب الله المعصوم ؟

نظرة

« في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية »

« تابع ما قبله »

ولعل الحكمة في إرادة الله تعالى اختلاف آراء النصارى ومذاهبهم في عقائدهم وغيرها هذا الاختلاف المعروف قبل البعثة المحمدية هي إشباع العقول من كثرة البحث والتفكير(١) وتوسيع معلومات الناس وتكبير مداركهم وترقيتها بذلك حتى تتهيأ لقبول العقائد والتعاليم الاسلامية بعد تشويقها الى معرفة الحقيقة وتطلبها الوقوف عليها حتى اذا عرفتها - بعد هذا التعب الشديد والضلال عنها وإن كانت سهلة كما هو شأن الحق دائما - عضت عليها بالنواجذ وما فرطت فيها الامة المحمدية تفريط من قبلها كبني اسرائيل الذين أوحى اليه الحق رخيصا فلم يعرفوا قيمته . ولو ضلت الامة المحمدية كلها عن الحقيقة وهي آخر الامم لاحتيج الى وحي جديد ولكن أراد الله أن يختم بمحمد النبوة لارتقاء البشر في عهده وكفاية العقل والقرآن لهدايتهم فلذا كان ما كان وصان القرآن . ولو أراد الله بقاء كتبهم للعمل بها الى يوم القيامة كما يزعمون لصانها كما صان القرآن الشريف من التحريف والتبديل والضياع ، ومع ذلك فقد أبقى الله تعالى فيها من العقائد الصحيحة والحكم والنصائح العالية ما فيه هداية المفكرين ، وما به اظهار كذب أهل الكتاب ودعمهم على

---

(١) لما آلت الى النصارى السلطة الدنيوية ورأوا أن البحث العقلي يؤدي الناس الى رفض عقائدهم التي أكرهوهم عليها حاولوا افناء ميل الفطرة البشرية الى ما تشرئب اليه فحرموا من قديم الزمان استعمال العقل في مسائل الدين واعترفوا - ولا يزالون يعترفون - بأنه لا يمكن للعقل البشري ادراكها وأنه لا يجوز له رفضها وان خالفته وناقضت أحكامه !! ولا أدري كيف بعد ذلك يثبتون صحة أصل دينهم مع أن دلالة المعجزة على النبوة اساسها العقل ؟ وليس هذا فقط بل كان رؤساؤهم يمنعون الناس من الاطلاع على كتبهم الدينية بأنفسهم قبل الاصلاح البروتستانتي لئلا يقفوا على عيوبها وتضاربها ومناقضتها للعلم والعقل فسدوا بذلك كل منفذ للبحث والتفكير بين أشياعهم ولكن لما أباح البروتستانت قراءة هذه الكتب بفضل ما وصلهم من دين المسلمين وكتبهم اشتغل الافرنج بالبحث في هذه الكتب وهم الآن على وشك أن يرفضوها كلها . وان كان بعضهم قد نبذها فعلا وراء ظهره قبل الآن بقليل الا أن الحامين عنها لا يزالون كثيرين !! ولله في خلقه شؤون

أنبيائهم ما لم يأتوا به وما لم يقولوه ولذلك تجد - اذا تأملت - ما دسوه قلقا مضطربا لا يتفق مع تعاليم الانبياء الاصلية كما سبق تفصيل بعض ذلك في هذه الرسالة ، ولكن لا يدرك كل الناس الفرق بين الحق والباطل في هذه الكتب ولا يزالون في امرها مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

وما الاديان في هذا العالم الا كباقي الاشياء الاخرى قابلة للتبدل والتغير الذي به تسترد شبابها وقوتها . ألا ترى أن الاشجار مثلا تذبل وتسقط أوراقها كل سنة في زمن الشتاء حتى تصير كالميتة ثم اذا ذهب الشتاء انتعشت ، وأورقت وأزهرت وأثمرت ، وصارت أقوى وأبهج مما كانت ، فلا يمحق ذلك الذبول المؤقت صحتها وقوتها بل تكتسب به شبابا جديدا في كل سنة فكأنها تكتسب من الضعف قوة ومن الذبول والتغير صحة وشبابا ورقيا (١) . فكذلك سنة الله في الاديان وغيرها

(١) حاشية : لما لاحظ القدماء ضعف الشمس في زمن الشتاء وذبول الاشجار وسبات بعض الحيوانات أو موتها المجازي في ذلك الفصل وبعبارة أخرى موت الطبيعة وجزئياتها التي كانوا يعبدونها اعتقدوا جواز الموت على الآلهة وقالوا انه بسبب هذا الموت يحصلون على حياة أقوى وأرقى كما يسترد الانسان قواه بعد النوم فلما عبدوا البشر واتخذوا منهم آلهة قالوا أيضاً بموتهم وقيامهم (بعثهم) وارتفاعهم الى سماء الكمال والجلال وتغلبهم على الموت الادبي والحقيقي . ومن ذلك نشأت عقيدة النصارى في موت المسيح وقيامته وصعوده وتغلبه على الموت كما تتغلب الشمس والاشجار وغيرهما على موت الطبيعة (الكون) بعد أن تخضع له مدة الشتاء وهي ثلاثة أشهر ، فجعل النصارى في مقابلة ذلك مدة موت المسيح ثلاثة أيام لانه أرقى من تلك الآلهة فتكون مدة خضوعه أقل لتناسب مقامه وعظمه ولكنهم حافظوا على أصل العدد (أي الثلاثة) ومما زاد رغبتهم أيضا في جعل هذه المدة ثلاثة أيام بدل ثلاثة أشهر ورود بعض عبارات في العهد القديم أرادوا أن يجعلوها رمزاً أو نبوة عن مدة موت المسيح (راجع هوشع ٦ : ٢ ويونان ١ : ١٧ مع متى ١٢ : ٤٠) والى ذلك المعنى السابق في أصل هذه العقيدة أشار يوحنا (١٢ : ٢٤) في انجيله بقوله عن لسان المسيح « الحق الحق أقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير » ومع ما في ظاهر هذا المثل من الخطأ العلمي كما بيناه في كتاب « دين الله » صفحة ٢٢٠ يدلنا على منشأ بعض أفكار النصارى وعقائدهم =

فهي وإن تبدلت وتغيرت في بعض الاوقات إلا أن ذلك يكسبها قوة وتقدما ورقيا بنهوض العقل البشري بالبحث والتفكر فيها وربما يوحيه الله للناس من جديد فتعود اليها صحتها ويرجع اليها شبابها وتصير أحسن مما كانت بعمل الانبياء والمصلحين الذين يكونون لها كالشمس والماء للأشجار (راجع أيضا هامش صفحة ١٢٦ من هذه الرسالة)

هذا وانما استعمل الله لفظ (الأب) في التوراة والانجيل في حق الله ولفظ (الابناء) في حق المخلوقين (كما في مت ٥:٩ ويو ٢٠:١٧ وغيرهما) ـ اذا صحت رواية اليهود والنصارى ـ ولم يستعمل ذلك في القرآن لان الناس كانوا في تلك الاعصر الاولى ضعاف العقول حتى أنهم قل أن يفهموا شيئا بدون ضرب الامثال والتشبيه لهم فلذا كثرت في كتبهم فلأجل أن يعرفوا أن الله رؤف رحيم بهم محب لهم كما يحب الأب أبناءه بل أكثر سماه أنبياؤهم لهم (أبا) وسموهم (أبناءه) ولكن بعد زمن المسيح بقليل أي بعد انقطاع الانبياء فيهم الذين كانوا دائما يحذرونهم من الوثنية ـ صار الناس يحملون كلا من لفظ (الاب) و (الابن) على معناه الحقيقي وادعوا (كما في كتابات يوستينوس الشهيد (١) المتوفى نحو سنة ١٦٦ ميلادية وغيره كثيرون)

= ولذلك جعلوا يوم ٢٥ ديسمبر ـ وهو يوم ميلاد الشمس عند الوثنيين أي انقلابها الشتائي أو رجوعها الظاهري من عند مدار الجدي ـ جعلوه يوم الميلاد للمسيح {أنظر رسالة الصلب صفحة ١٣٨} وجعلوا عيد قيامته في أول الربيع وهو وقت قيامة الشمس والاشجار والحيوانات من موت الشتاء أي يوم عيد قيامة آلهة الوثنيين الذي يتغلبون فيه على سلطان الظلمة والبرد وموت الطبيعة فقالوا ان المسيح تغلب في نفس هذا اليوم على الشيطان وظلمة القبر وعلى الموت الروحاني والجسماني فخلص هو نفسه من الموت الطبيعي وخلص أتباعه من الموت الروحاني وجعلوا قيامته في يوم الاحد وهو يوم الشمس (Sunday) أيضا الذي كانت تعبد فيه . وقد أفاض علماء الافرنج في هذه المباحث وبينوا اشتقاق عقيدة النصرانية في المسيح من تلك الأفكار الوثنية فانظر وتعجب!! «راجع مثلا كتاب «الاصول البشرية» ص ٦٢ وكتاب «حكايات من العهد الجديد» لمؤلفه جولد صفحة ١٢٨ ــ ١٣٠»

(١) حاشية : كان يوستينوس هذا يونانيا خاضعا للرومان ووثنيا وبعد دراسة طويلة للفلسفة اليونانية اعتنق المسيحية مصبوغة بالصبغة اليهودية واليونانية لأن أكثر آرائه الفلسفية كانت مستمدة من كتابات (فيلو) اليهودي الاسكندري . والاطلاع على أقواله في ولادة الله تعالى =

أن الله تعالى ولد (الابن) ولادة حقيقية أي أنه جزء خرج منه ! وفهموا ما جاء في سفر المزامير (٢ : ٧) ورسالة العبرانيين (١ : ٥) (١) ونحوهما فهما خطأ وهم في ذلك

= ابنه قبل جميع المخلوقات واجع كتاب « دين الخوارق » بالانكليزية صفحة (٤٥٦ — ٤٩٠) والحق أن هؤلاء الوثنيين المتنصرين هم الذين حملوا الى المسيحية وثنيتهم القديمة فبدلوا دين المسيح الحق وأفسدوه ومنهم انتقل الى ذراريهم محرفاً مبدلا فاسداً

واعلم أن أول من أخذ بعقيدة الثالوث من قياصرة الرومان هو (ثيودوسيوس) (Theodosius) جلس على سرير الدولة سنة ٣٧٩ ومات سنة ٣٩٥ ومنذ جلوسه أخذ في اكراه الناس على هذه العقيدة اكراهاً شديداً حتى زال التوحيد الحقيقي من بين النصارى وهو الذي كان فاشياً وتمكن في نفس عاصمة الدولة (القسطنطينية) . وبعد موته مباشرة انقسمت الدولة بين ولديه الى قسمين ، وفي سنة ٤٧٦ ضاع القسم الغربي من دولة الرومان وانتهى أمره . فترى من هذا أن النصرانية الحالية لم تنتشر بسرعة بين الناس كما يزعم المبشرون ولم تدخل عقيدة الثالوث رسمياً في الدولة الرومانية الا في أواخر القرن الرابع مع وجود أمثالها عند كثير من الامم الوثنية ولم يكن انتشارها بين النصارى الاولين الا بالاكراه والجبر الشديد ، ومنذ دخول هذه النصرانية فيهم أخذت دولتهم في الضعف والاضمحلال كما قلنا حتى تلاشى قسمها الغربي سريعاً بعد ذلك ثم تلاشى القسم الشرقي أيضاً بأخذ المسلمين (القسطنطينية) سنة ١٤٥٣

ولولا قوة الدول الاوروبية الآن التي بلغتها بأسباب عمرانية اجتماعية عديدة متنوعة لما قامت لهذه العقيدة قائمة ، ومع ذلك ترى أكثر العلماء في أوروبا الآن قد أصبحوا ينبذونها نبذ النواة ويسخرون منها ومن معتقديها الذين جلهم من العامة او من رجال الدين الذين لا صناعة لهم الا الاحتراف به

(١) ان شئت أن تعرف ماذا كان كتبة العهدين يريدونه في أكثر المقامات (بالولادة من الله) فاقرأ مثلا (يع ١ : ١٨ و ١ يو ٤ : ٧ و ٥ : ١ و ٤ و ٥ و ٣ : ٩ و ٥ : ١٨ و ١٩ و ١ بط ١ : ٢٣ و ٢٣ وانجيل يوحنا ١ : ١٢ و ١٣) ومن أكبر المصادمات للبداهة العقلية في عقائد النصرانية (وكلها مصادمات) قولهم من غير أن يستندوا على شيء من كتبهم المقدسة ان أقنوم الابن قديم ممتاز عن الاب امتياز الاشخاص بعضها عن بعض منذ الازل ثم قولهم بعد ذلك كما في كتبهم انه مولود منه قبل جميع المخلوقات (كو ١ : ١٥ وعب ٥ : ٢) فلو كان امتياز شخصه أزليا لما كان مولوداً ولو كان مولوداً لما كان له وجود مستقل بشخصه منذ الازل !! والا فما معنى الولادة اذاً وكيف تكون منذ الأزل ؟ وما معنى « اليوم » في قول كتبهم (أنا اليوم ولدتك) فان كان شخصه مستقلا أزليا فكيف ولد في ذلك اليوم ؟ ! وما معنى خروجه منذ الازل كما قال ميخا (٥ : ٢) ألم يكن في الخارج ثم خرج ؟ واذا جاز ذلك فكيف تكون ذات الله عندهم غير قابلة للتفرق والانقسام ؟ وكيف يبقى بعد ذلك جوهر الابن وجوهر الاب واحداً ؟ (وراجع أيضا كتاب دين الله ص ٥٠) واذا كان الابن قديما والله أبوه منذ الازل فكيف قال بولس عن لسان =

سخافات انتحلت اليوم بعد أنبيائهم من الوثنيين والفلسفات الاجنبية كفلسفة (سقراط) و (أفلاطون) اللذين قالا بعقيدة (الكلمة) قبل المسيح بقرون كما اعترف بذلك (يوستينوس) نفسه في بعض كتبه وان كانت عقيدتهما عليها أبسط من عقيدة النصارى المعروفة

= الله في حقه (عب ١: ٥) «أنا أكون (أي أصير) له أبا وهو يكون لي ابنا» كما قال ذلك بعينه في سليمان (٢ صم ٧: ١٤) وكيف يقول بولس أيضا (عب ١: ٤) (صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ماورث اسما أفضل منهم) فهل مثل هذا الكلام يليق أن يقال في حق الله تعالى وهل تصح مقارنته بالملائكة وإظهار أيهما أفضل؟! ألا يدل ذلك وغيره كما قلنا سابقا على أن كتبة العهد الجديد ما كانوا يعتقدون ألوهية المسيح «حقيقة» بل ولا وجوده منذ الازل بمعنى أنه لم يسبق بعدم إلا اذا كانوا يريدون أن جميع المخلوقات صادرة عن ذات الله تعالى أي أنها جزء من جوهره كأصحاب القول «بوحدة الوجود» (Pantheism) وذلك حقيقة هو مايفهم من كثير من نصوص كتبهم اذا قورنت معا مثل (كو ١: ١٥ ورو ٣: ١٤ وأف ٤: ٦ و ١ كو ٨: ٦ و ١٥: ٢٨ وأع ١٧: ٢٨ ورو ١١: ٣٦ وغيرها) وبناء عليه يكون لفظ الولادة في اصطلاحهم مرادفا للفظ الخلق في هذا المقام ويكون المسيح في اعتقادهم هو أول المولودات أو الابناء أو المخلوقات على حد سواء وهو وحيد (يو ١: ١٨) في الاولية والعظم والمقام والقدرة وغير ذلك مما أوتيه دون سائر العالمين على ما يزعمون، فكأن الابناء الآخرين {تك ٦: ٢ و٤ وتث ٢: ١٩ و٢٠} لا يعدون بجانبه شيئا لأنه هو خالقهم المسيطر الذي سلطه الله عليهم جميعا كما يدعون {مت ٢٨: ١٨ ويو ٣: ٣٥ و ١ كو ١٥: ٢٧} وعندهم من هذا القبيل أيضا تسمية اسحاق في التوراة بابن ابراهيم «الوحيد» {تك ٢٢: ٢ و١٦} مع وجود ابنه الآخر اسماعيل ولكنه ابنه من هاجر جارية سارة التي طردتها. واعلم أن أمه مريم لم تسم «أم الله» (Theotokos) إلا منذ زمن أوريجانوس أي في القرن الثالث . وقد حارب هذه الفكرة في القرن الخامس كل من القس (أناسطاسيوس) و (نسطوريوس) أسقف القسطنطينية . ولكن لايزال بكل أسف هذا الاسم مستعملا إلى الآن عند الكاثوليك الذين يصلون لها ويعبدونها إلى اليوم!! (راجع كتاب «الحقيقة عن يسوع الناصري» ص ٩٩ و ٢١٠)

قال بعض ظرفاء اليهود من الافرنج «لم لايتيه اليهود عجبا على سائر الامم =

وقد كان الرومانيون وغيرهم يعبدون بعض قياصرتهم في حياتهم وبأمرهم

= وصف العالم المتمدن بعبودية، والنصف الآخر يعبد يهودية؟! » فليضحك القارئون! ولكن من تذكر أن الناس عبدت الحجر والشجر، لا يعجب من عبادتهم البشر، فإن وثنية هؤلاء لاشك أنها أرقى من وثنية أولئك فلينأوا بها وليبقوها لهم ليعرض الموحدون عن الضحك منهم، والازدراء بقولهم، فيريحون، ويستريحون، وإلا فليبشروا بالخيبة والفشل في إجابة دعوتهم إلى يوم القيامة، فإن عقول البشر الآن ليست كما كانت في أزمنة الجهل والغفلة

وجاء في انجيل لوقا (٣:٢٢) أن الصوت الذي سمع من السماء بعد معمودية عيسى هو « أنت ابني الحبيب بك سررت » وفي انجيل العبرانيين زيادة هذه العبارة « وأنا اليوم ولدتك » ونقل يوستينوس هذا الصوت عن الكتاب الذي كان في زمنه يسمى « مذكرات الرسل » هكذا « أنت ابني أنا اليوم ولدتك » وذكر القديس أوغسطين (المتوفى سنة ٤٣٠) أن بعض نسخ انجيل لوقا في زمنه كانت فيها أيضا العبارة هكذا (٣ : ٢٢) « أنت ابني أنا اليوم ولدتك » بدل قوله الموجود الآن « أنت ابني الحبيب بك سررت » ولا تزال العبارة الاولى توجد بصورتها المذكورة هنا في نسخة بزا (Bezae) وفي الترجمة الايطالية القديمة توجد عبارة تقرب منها في المعنى . فمن ذلك يعلم أن العبارة كانت في الانجيل كما نقلها يوستينوس عن « المذكرات » ولكن لما استدل بها الموحدون من النصارى على أن المسيح ليس أزليا بدليل القول (أنا « اليوم » ولدتك) — الذي كان في نسخ انجيل لوقا القديمة وفي الاناجيل الاخرى الاولية وهو يفيد ولادته في يوم المعمودية لامنذ الازل كما يزعمون — كره النصارى المثلثون هذه العبارة وأبدلوها في الانجيل بقولهم « أنت ابني الحبيب بك سررت » (راجع كتاب دين الخوارق ص ٢٠٢ و ٢٠٤)

فان قيل اذا صح قولك هذا أن أصل الصوت كان في الاناجيل « أنت ابني أنا اليوم ولدتك » كما في رسالة بولس الى العبرانيين ١ : ٥ فلماذا حرفوه في الاناجيل ولم يحرفوه في هذه الرسالة ؟ قلت لما كانت هذه الرسالة مكتوبة للعبرانيين (أي اليهود) كان الغرض من ذكر هذه المسائل فيها بيان نبوات العهد القديم الواردة في المسيح الذي كان ينتظره اليهود وتطبيقها على عيسى، كما هو ظاهر من الاصحاح الاول من هذه الرسالة، وجملة « أنا اليوم ولدتك » الواردة في هذا الاصحاح المراد بها الاشارة =

بعد موتهم ا راجع ص ٤٤ من كتاب «التوراة غير موثوق بها» لمؤلفه Walter Jekyll وكانت عبادة البشر (١) وتأليههم شائعين في المملكة الرومانية في ذلك

= الى ما في المزمور (٢: ٧) فاذا حرفها النصارى في هذه الرسالة ضاعت قيمتها لأن اليهود حينئذ أن يقولوا لهم «ان هذه الجملة لا وجود لها في كتبنا فهي ليست حجة علينا لأنها من اختراعاتكم» فلذا تركها النصارى في الرسالة العبرانية وحرفوها في الاناجيل لأنها فيها ليست إشارة الى هذه النبوات القديمة . ولو حذفوا هذه العبارة من الرسالة بالمرة (وكان هذا العمل في الحقيقة خيرا لهم من إبقائها لو أمكنهم) لقال اليهود ان المزمور الثاني عندنا هو من أهم النبوات عن مسيحنا فأرونا أيها النصارى كيف تطبقونه على مسيحكم ؟ وأيضا ربما إن هذه الرسالة كانت كثيرة التداول بين العبرانيين المتنصرين وغيرهم من الفرق الموحدة وهؤلاء ما كانوا يعتقدون في المسيح الألوهية الحقيقية فلذا لايمكنهم تحريفها بأنفسهم في هذا الموضع ولو حرفها لهم آخر فيه بالحذف لخافوا الفضيحة منهم وافتضح لهم أمره وغشه

وكان بعض النصارى في بعض القرون الأولى يكرهون أيضا وصف المسيح بأنه نجار كما في انجيل مرقس (٦: ٣) فحذفوا ذلك منه في كثير من النسخ حتى كان أرجانوس في القرن الثالث يقول ان المسيح لم يسم نجارا مطلقا في أي انجيل من الاناجيل التي كانت مستعملة في الكنيسة في زمنه ، وكذلك توجد بعض نسخ خطية من انجيل مرقس خالية من هذه التسمية ولكنها توجد في جميع ما عثروا عليه من النسخ الاقدم من هذه النسخ الخطية المحذوف منها هذا الاسم (أنظر كتاب «دين الخوارق» في الانكليزية صفحة ١٩٩)

فيعلم من ذلك ومما تقدم كله أن نسخ كتبهم كانت قليلة جدا لا توجد الا عند بعض الرؤساء حتى باعتراف متعصبيهم (أنظر كتاب «علم الاعلام في حقيقة الاسلام» ص ٦٥) وأنهم كانوا في كل عصر يتصرفون فيها بحسب ما يبدو لهم من الآراء والأهواء، إلا اذا خافوا في بعض المواضع الشهيرة جدا أن يفتضح أمرهم فيتركونها زمنا ما وهم على مضض منها حتى تتيسر لهم فرصة لازالتها وتحريفها سرا أو تدريجا ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(١) لذلك لا تستغرب على يهود العرب أنهم كانوا يعتقدون أن عزيرا (أو عزرا) هو ابن الله تعالى كما حكاه القرآن الشريف عنهم (٩ : ٣٠) فقد كان (فيلو) اليهودي الاسكندري المعاصر للمسيح وهو من أكبر فلاسفتهم يعتقد أن لله ابنا هو كلمته التي خلق بها الاشياء كما سبق . فلذا قال القرآن الشريف — بعد ان حكى عنهم قولهم في عزرا — « يضاهؤن (أي يشابهون) قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون » ولا تنس ميلهم القديم للكفر والارتداد وعبادة الآلهة الباطلة من قديم الزمان كما تشهد به كتبهم » راجع أيضا كتاب دين الله ص ٣٩ »

الزمن كما يفهم ذلك أيضا من نفس سفر الاعمال (١٢: ٢٢و١٤: ١١و٢٨: ٦) فلما فشا في الناس ذلك المعنى الضار في الاب والابن بتأثير الوثنية أبطل الله هذه الاستعمالات المجازية في القرآن الذي هو آخر الكتب بعد أن حصل الناس على الغرض منها وأصبحت لا فائدة فيها لهم سوى أنها قد تجر بعض سخفاء العقول كما جرتهم من قبل الى الغلو فتوقعهم في الشرك والوثنية مرة أخرى بعد ختم الوحي والنبوة فلذا استبدلها الله تعالى باستعمالات أخرى أقرب الى تصوير الحقيقة ، وأبعد عن الضرر ، وتكفي الناس في ذلك الزمن لفهم المراد ما كفتهم تلك في الأزمنة الاولى والبشر في طور الطفولية ، فبين تعالى في كتابه العزيز أن الله رؤوف ، رحيم ، ودود ، لعباده ، وأنه يحبهم ويحبونه (قرآن ٣: ٣١ و ٥: ٥٤ و ١٦: ١٨ و ٨٥: ١٤ وغير ذلك كثير) وأنه وليهم (٢: ٢٥٧) وهم أولياؤه (١٠: ٦٢) وبدأ كل سورة منه ببسم الله الرحمن الرحيم وبين رسوله أن الخلق عياله وأنه أشفق عليهم وأرحم من الام على ولدها وبذلك ونحوه حصلوا على فهم مافهمه الاولون من الاب والابناء بدون أن يلحقهم مالحق أولئك من الشرك والوثنية، فان البشر في زمن البعثة المحمدية كانوا أرقى ممن سبقهم فكانت تكفيهم كما قلنا هذه العبارات لفهم المراد من محبة الله لهم بدون تشبيه ولا تمثيل . ولا تنس أن محمدا هو خاتم النبيين لذلك تركت هذه الاستعمالات المجازية في القرآن لعدم حاجة البشر اليها في فهم المراد ولأنهم اذا وقعوا بسببها في الوثنية تعسر ابعادهم عنها بعد ختم الوحي والنبوة

هذا وفي قول القرآن الشريف (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (يحبهم ويحبونه) من التكريم الآلهي والتحبب واللطف ما لا يخفى على متأمل ، فكأن الله تعالى (وله المثل الاعلى) ساوى عباده به حتى صار يطلب رضاهم عنه وحبهم له كما يطلبون هم ذلك منه ، وهو الذي بدأ — كما في هذه الآيات — بالرضا عنهم والحب لهم . فأي رفع لنفوس البشر وجذب لقلوبهم — بعد ان أماتها الشرك والوثنية — أكبر من ذلك ؟ فهم وان كانوا عباده إلا أنه لا يعاملهم معاملة السيد لعبيده بل معاملة الاخلاء بعضهم لبعض كما هو ظاهر من عبارات القرآن وهي لاشك أدعى لرفع نفوس الناس وتشريفهم وجذب قلوبهم الى الله تعالى من

قول الا[illegible]ل (ابانا الذي في السموات) فان الفرق بين درجة الاب مع ابنه ودرجة النظير مع نظيره لا يحتاج لتوضيح . وقول القرآن (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) وقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ليس كقول الانجيل هذا انه في السموات إذ دلالة الأول على القرب لا تقارن بدلالة الثاني عليه وشتان بين من يدعو الذي في السموات وبين من يدعو الذي هو أقرب اليه من حبل الوريد ، وفرق بين النصراني الذي ينتسب الى الله ويقول إنه أبوه وبين المسلم الذي يتقرب اليه الله نفسه ويقول له: إني أقرب اليك من أجزاء جسمك الداخلية ، ويخاطب نفسه بقوله لها (ارجعي الى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي)

أما قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) فليس المراد به إنكار تسميتهم أبناء الله بمعنى أحبائه بل المراد إنكار اختصاصهم بذلك - كما ادعت اليهود والنصارى - (١) وبمحاباة الله وبالوحي والنبوة والخير الأكثر وغير ذلك دون سائر العالمين فبين تعالى لهم أنهم عنده كسائر الناس خصوصا في زمن البعثة المحمدية التي ساوت بين جميع العالمين وان كانوا فضلوا في بعض الاشياء ، وفي بعض الاوقات عن غيرهم الا أن ذلك لم يكن لكل زمان ولا في كل شيء ، ورد عليهم دعواهم المحبة لله بأنهم يعصونه والمحب لمن يحب مطيع فهم كاذبون أيضا في دعوى محبتهم له ، ولو كان لهم عنده مزية على غيرهم لما ساوى بين الناس جميعا في العقاب الدنيوي والاخروي ولذلك قال (يعذبكم بذنوبكم) أي كباقي الناس فالمراد أن الخلق كلهم عياله تعالى وأنه محب لهم جميعا ولم يبق مزية لكتابي على جاهلي ولا لأبيض على أسود ولا لعربي على عجمي بل الكل عند الله سواء (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) . ويجوز أن مذهب « وحدة الوجود » كان فاشيا في نصارى العرب ويهودهم كما كان فاشيا في أسلافهم الاولين

(١) راجع صفحة ١٢١ - ١٢٥ من هذه الرسالة

على ما بينا في حاشية (صفحة ١٤١) فيكون مرادهم بقولهم إنهم أبناء الله أنهم مولودون أي ان مادتهم هي من ذات الله تعالى ، فكذبهم القرآن في هذه الدعوى وبين أنهم مخلوقون محدثون هم وسائر الناس بقدرته وصنعه لا مولودون منه ، فيجوز عليهم كل ما جاز على سائر الاحياء المخلوقة كالآلام والقتل والعذاب وغيره ، ولا يعقل أن الله يهين نفسه ويعذبها لو صح قولهم ان ذاتهم هي من ذات الله تعالى ، بل له ملك السموات والارض بالقهر والايجاد لا بكونهما أجزاء منه. والوجه الاول - عندنا - أقرب الى ظاهر الآية فان المتبادر منها أن العطف في قوله (نحن أبناء الله وأحباؤه) هو التفسير ، فمقصودهم أنهم وحدهم أحب الناس اليه كأنهم أبناؤه لأن ولد الانسان أحب اليه من كل من سواه كما لا يخفى

واعلم ان الله تعالى منزه عن الانفعالات النفسية والحولات الفكرية والتأثيرات القلبية ونحوها من صفات الحوادث فوصفه تعالى بالحب والرأفة والرحمة وغير ذلك هو أيضا لا ينطبق تماما على صفاته القديمة وانما هي ضرورة التعبير ألجأتنا الى هذه الالفاظ ونحوها لنفهم منها فضله علينا

اما الحب عندنا في جانب الله فمعناه (١) إفاضته الوجود وما يلزم له من النعم العديدة التي لا تحصى على جميع المخلوقين ولو كانوا به كافرين مشركين ودوام هذا التفضل والانعام على عباده المؤمنين الى الابد من غير أن يعود عليه تعالى أقل نفع له منهم جميعا أو أدنى فائدة ترتجى له إذ هو الغني عن كل ما سواه المفتقر اليه كل من عداه ، فحبه تعالى يمتاز عن حبنا في كونه صفة أزلية له تعالى وان تعلق بالموجودات بالفعل في وقت وجودها فهو كباقي الصفات الاخرى فان تعلقها بالحوادث هو في غير الازل مثل القدرة على الخلق ، وأيضا فحبه أكبر وأعظم ولا تشوبه أدنى شائبة من الحاجة الينا أو المنفعة - كما قلنا - لا كالمعتاد الغالب في حبنا مهما خلص ، وهو

(١) المنار : هذا التفسير غير ظاهر والصواب ان كل ما اطلق على الباري تعالى من الصفات التي يوصف بها الناس والافعال التي تسند اليهم فانما تفسر مع التنزيه بروح المعنى المستعمل فمعنى حبه للصالحين من عباده انه يعاملهم معاملة المحب لمحبوبه من الرعاية والعناية التي يميزهم بها على الكفرة الفجرة الذين جحدوا فضله وخالفوا شرائعه وسننه مع تنزيهه عما لا يليق به كما اشار اليه الكاتب فحبه تعالى لخلقه شأن من شؤونه اللائقة بما يترتب عليها ما ذكر فهو أخص من الفضل العام

يشمل جميع مخلوقاته حتى أعداءه منهم بالمعنى الذي بيناه هنا وهو دائم أبدا لعباده المؤمنين الذين يعدهم بالخير العظيم ، والفضل العميم ، والاحسان الكبير ، من غير أن يكون شيء من ذلك واجبا عليه تعالى بل هو كله محض فضل منه ورحمة ، وأيضا قد ينشأ عن حب بعضنا بعضا شيء من الضرر كحب الام الجاهلة لولدها حتى تمنعه من كل عمل فيه مشقة ولو كان نافعا أو ضروريا ، وأما حب الله لنا فهو خال من كل ضرر ولا ينشأ عنه الا النفع المحض قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) وأيضا فالله عندنا غفور رحيم للمذنبين مهما كثرت جرائمهم بشرط التوبة الصحيحة بدون انتقام ولا سفك دم (ولا يكلف الانسان ما لا يطيق)

أما أرق أنواع الحب عند النصارى فهي التي تؤدي الى الانتحار لخلاص الناس (كما في كتاب صدق المسيحية لمؤلفه ترتون ص ٢٨٣) ولكن مثل هذا الحب هو من شأن الضعفاء العاجزين المختلين الذين لا يقدرون على خلاص محبوبهم فلذا ينتحرون والله منزه عن ذلك وفوق ذلك ، على أن مثل هذا الحب مشاهد بين الناس فكثيرا ما ينتحر العاشق في سبيل معشوقه والأم لأجل ولدها مثلا فحب الله على قولهم هذا لا يمتاز عن الحب المعتاد بين ضعاف المخلوقين وشرارهم . ولعل من أسباب كثرة الانتحار بين الافرنج هذه العقيدة إذ من مقتضاها أن الانتحار ليس بعار ولا عيب فيه ما دام ربهم نفسه قد ارتكبه ولو أن الحامل له عليه غير الحامل لاكثرهم ولكن الانتحار على كل حال هو مظهر من مظاهر اليأس والضعف والجبن وقلة العقل والحيلة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . (لاحظ أيضا أن إلههم هو الذي أباح لهم شرب الخمر وشربها معهم وناولهم إياها بيده كما سنبينه (مت ٢٦ : ٢٧ ـ ٢٩ ومر ١٤ : ٢٣ ـ ٢٥ ويو ٢ : ١ ـ ١١) (راجع كتاب دين الله ص ٩٨) فلذا فشا فيهم الانتحار وشرب الخمر وهما من أكبر الموبقات ومع كل ما تقدم فالله تعالى باعترافهم لم ينتحر هو نفسه لخلاصهم بل ضحى (بالانسان يسوع) الذي أكرهه على ذلك إكراها كما بيناه في مقالة الصلب وغيرها وظلمه وهو بريء ولم يشفق عليه ولم يرحمه كما قال بولس (رومية ٨ : ٣٢) فأين الثريا من الثرى وأين السماء من الارض ؟ فاذا لم يحمل الناس على حب الله خلقه لهم وتفضله عليهم بجميع أنواع النعم

الصغيرة والكبيرة وهدايته لهم بدون مقابل ورحمته بهم وعفوه عنهم وعدم تكليفهم مالا يطيقون فهل يحملهم على حبه صلبه البريء (يسوع) لأجل خطيئة آدم وخطيئتهم وهم لم يقعوا في العصيان إلا بعلمه وإرادته وتقديره؟ وهما بالغ بعضهم في إرادة الانسان واختياره فان ذلك مخالف لما في كتبهم (راجع يو ١٢: ٣٩-٤١ ورو ٩: ١٧ و١٨ و ١١: ٧ و ٨ و ١٢ و ٣: ٣٢ وخر ٤: ٢١ و ٩: ١٢ و ١٠: ١ واصم ٢: ٢٥ وتث ٢: ٣٠ واش ٦: ١٠ ويشوع ١١: ٢٠) وقد كان يمكنه أن يمنع وقوع الانسان (آدم) في هذه الخطيئة أو يمنع نسله من الأثر خطأ أبيهم الذي أدخل بزعمهم الخطيئة في العالم كما قال بولس (رومية ٥: ١٢) مع أنه لولا خلقه آدم بطبيعته ميالا من قبل للشر والعصيان لما عصاه وخالف أمره (راجع رسالة الصلب ص ١٢٣-١٢٥) ولو أراد أن ينجيهم من العقاب تفضلا منه ورحمة لما عارضه أحد ولما نافى ذلك عدله كما يزعمون والا فهل صلب البريء بدون ارادته فداء المذنبين هو الذي لا ينافي ذلك العدل الذي مافهموه؟ (راجع صفحة ١١-١٣ من كتابنا «دين الله») وهل إيقاعهم في العصيان بخلق آدم ميالا للشر وخلقهم كذلك ومؤاخذتهم بذنبه وذنوبهم (أنظر مثلاثك ٣: ١٥-١٩) وعدم العفو عنهم مطلقا الا بسفك الدم هو الذي يحملهم على حبه؟ ولا يحمل المسلمين ما ذكرنا على حب الله الرؤف بهم الرحيم المنعم عليهم بكل شيء الغفور لذنوبهم جميعا بدون سفك دم أحد متى صحت توبتهم ورجعوا اليه وحده مستغفرين خاضعين مطيعين؟ وهو الذي لايسأل أحدا منهم الا عما اكتسبته يداه؟ فتأملوا في ذلك أيها العاقلون واحكموا بيننا و بين القوم الظالمين. وليس غرضنا بهذه العبارة البحث هنا معهم في (مسألة القضاء والقدر) فقد وفيناها حقها في بعض أعداد المنار السابقة (م ١٠ ص ٧٣١) وانما الغرض مقارنة العقيدتين و بيان أيهما أشد حملا للناس على حب الله

واذا كان المسيح باعتبار ناسوته من نسل آدم لأنه مولود من مريم ومتكون في رحمها من دمها فهو كباقي أولاد آدم واقع في الذنب فهو أيضا محتاج الى الكفارة مثلهم واذاً يكون غير طاهر ولا معصوما من الذنوب كما تزعمون لانه «ابن الانسان» الخاطئ وناسوته مخلوق من مريم بمقتضى التولد الجماعي. وان كان لم يتلوث بذنب

آدم فلم تلوث غيره؟ (رومية ٥: ١٢ و ١٧ و ١ كو ١٥: ٢١ و ٢٢) وكلنا من نسل آدم وطبيعتنا هي من طبيعته ؟ وان كان الله طهره من الخطيئة بحلوله فيه فإذاً يجوز التطهير من الذنوب بدون سفك الدم وهو خلاف ماتدعون؟ وان كان حلول الابن مطهرا من ذلك فلم لم يطهركم حلول روح القدس فيكم وكلكم هيكل الله الحي كما يقول بولس (١ كو ٣: ١٦ وأف ٤: ٦ وراجع أيضا أع ٢: ٤) فاذا كان حلول الله او أحد أقانيمه في الانسان مطهرا له من الذنوب فأي حاجة اذاً الى صلب المسيح؟ ولم لم يجعل الله موت شهدائهم الكثير بزعمهم كفارة عن باقي النوع الانساني وكلهم ممتلئون من روح القدس (رو ٥: ٥) ؟ وان قيل انه باعتبار ناسوته واقع مثلنا في خطيئة آدم ولكن صلبه وهو ابن الله كاف لتكفير الخطيئة عن جميع بني آدم وهو من ضمنهم ، قلت ان كان صلبه باعتبار أنه إله جاز على الله الموت والألم والجزع والاستغاثة بغيره والضعف وغير ذلك مما أظن أنكم تنزهون الله تعالى عنه وخصوصا بعد قول المصلوب (إلهي إلهي لماذا تركتني) وان كان صلبه باعتبار أنه انسان فهو خاطئ مثلنا بمقتضى طبيعته البشرية فلم لا يكون موته مكفرا عنه وحده ويكون ماينال كلا منا في هذه الحياة من المشاق والاحزان والموت أو القتل وغير ذلك كفارة له عن ذنبه وقد كان أصل العقاب على ذنب آدم (كما في سفر التكوين) الموت والألم والتعب وعداوة الشيطان أو الحية ونحو ذلك (تك ٢: ١٧ و ٣: ١٣-١٩) وكل هذه الاشياء واقعة بنا وباقية علينا الى الآن ؟ . وان كان لا بد من سفك الدم فهي دعوى لا دليل لكم عليها ولم يكن موت المسيح بسفك دمه وذبحه بل ان ما فاض منه من مسامير الصلب لم يكن هو السبب في الموت كما بيناه في كتاب دين الله (ص ٥ و ١٢) وفي رسالة الصلب (ص ١٢٨ - ١٣٠) ولم لم يزل عن الانسان ذلك القصاص بعد الصلب ؟ ! واذا كان الله لا يكتفي بما حل بالانسان من المصائب والبلايا والموت وغيره في هذه الحياة ويصر على الانتقام منه في شخص أحد أفراد هذا النوع (المسيح) ويحمله من أنواع الاهانات والفظائع ماجعله يستغيث به فلا يغيثه ولا يرحمه (لو ٢٢: ٣٩-٤٦ ورومية ٨: ٣٢) مع أنه اتخذه له ابنا وحل فيه ـ واذا كان أيضا لا يكتفي بحلول روحه القدس في الناس ولا بتوبتهم واستقامتهم

ولا باستشهاد كثير منهم في سبيله الا بعد سفك دم عيسى ويحب الضحايا البشرية من قديم الزمان ويقبلها من مقربيها اه (قض ١١ : ٢٩ ـ ٤٠) ويأمر أنبياءه بسفك دماء مالا يحصى من الحيوانات (١مل ٨ : ٦٣) وقتل مالا يعد من البشر (تث ٢٠ : ١٦) ويسر برائحة المحرقات (لا ١ : ١٧) اذا كانت كل هذه صفات إلههم فهو مجرد من كل رحمة وشفقة وحنان وعدو للانسان والحيوان. حتى أنه ندم على خلقه الانسان (تك ٦ : ٦) لشدة غيظه منه، وبغضه له، وخوفه منه، (تك ٣ : ٢٢ و ١١ : ٦) فكيف يمكن الانسان أن يحبه بعد ذلك؟ مع أن الله وهو أقدر منا طبعا لم يحب الانسان ولم يرحم الا بعض أفراد هذا النوع بعد أن شبع وروي من الدماء التي تملأ الأنهار!! فهل يا قوم هذه العقيدة (١) هي التي تدعون أنها الطريقة الوحيدة لاظهار محبة الله للانسان وهل هذا إله محبة كما يسميه يوحنا (١ يو ٤ : ١٦) وهل كل هذه الاشياء التي صدرت منه ضد الانسان تحملنا على حبنا له ولا طريقة تحملنا على حبه غيرها؟ إن هذا لشيء عجيب

(البقية تأتي)

الدكتور محمد توفيق صدقي

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

(٤) مقتل الجهم والحارث وما أفضى من الوقائع اليه

في سنة ١٢٨ ولي ابن هبيرة العراق، فكتب الى نصر بن سيار بعهده على خراسان، وطلب البيعة لمروان بن محمد بن مروان، فابى الحارث وقال: انما أمنني يزيد بن الوليد ولم يؤمني مروان، ولا يجيز مروان

(١) كان من أثر هذه العقيدة في نفوس أتباعها أن الافرنج أغرقوا في حب سفك دماء مخالفيهم في الدين أو المذهب لعلهم يرضون بذلك إلههم هذا ويرضونه من أعدائه هؤلاء في زعمهم ويسرونه برؤيته لدمائهم مسفوحة تتدفق كالانهار على وجه الغبراء لانه لا يمكنه العفو عن أحد الا بسفك الدماء، فانعم به من إله رؤف رحيم!!

*) تابع لما نشر في ج ٦ م ١٦ ص ٤٤٩